فتح الدين الهاشمي رحمه الله

ع. ع.

لم يكن فتح الدين الهاشمي رحمه الله ، أو فتحي كما كنّا ندعوه في آخن ، زعيماً كبيراً ولا صغيراً ، ولا شخـــصاً معروفاً خارج دائرة أهله وأصدقائه وزملائه في بلدته في الجزائر ، أو في مدينة آخن حيثُ يَدْرس ويعمل ، وينشط مع بقية الشباب المسلمين في المركز الإسلامي (مسجد بلال) ؛ ولكنه كان نَموذَجاً صادقاً لجيلٍ رائع من الشباب المسلم الذي شدَّ رِحالَه إلى الغرب طلَباً للعلم وللرزق ، وهو لا يملك إلا إرادتَه وجهدَه ، وحرصهَ على أداء واجبه ، والتقدّمِ في مختلف المجالات

* * *

ولد في وهران في الجزائر سنة ١٩٦٠م ، وتوفّي والده وهو ابن ثلاثةَ عشرَ عاماً ، وترك ســبعةَ أطفـــال ، هـــو أكبرهم ..

وكافح فتحي ليتابع دراسته ، وليعين أمّه في تربية إخوته ، ثم التحق بعد انتهاء دراسته الثانوية بأصدقاء له سبقوه إلى ألمانيا ، حيثُ كان يتوفّر -في ذلك الوقت- مع الدراسة إمكانيّةُ العمل

وعمل فتحي ودرس ، وجدَّ في الدراسة والعمل ، حتى نال شهادة الهندسة في الكيمياء ، وتقدّم في طريق الحصول على (الدكتوراه) ، وتزوّج فتاة صالحة، وبنى أسرةً سعيدة ، ورزقه الله بثلاث بنات ..

وكان حريصاً -كبقيّة أفراد الجيل الذي يمثّلُه- على الالتزامِ الإسلاميّ ، والمسلكِ الأخلاقيّ ، والكسبِ الحلال ، فلم يرتبطوا بعمل محرّم ، و لم ينحرفوا إلى ضلال أو فساد ، و لم ينسَوْا في مختلف ظروفهم أنّ لهم غايةً وراءَ الدراســةِ والكسب ، وأنَّ عليهم واجباً جليلاً لا بد من تأديته إيماناً واحتساباً

* * *

ولقد عانى أفرادُ هذا الجيل كثيراً ، وكافحوا طويلاً ، وعرفوا ألواناً من الضيق والحرمان ، والــشدّةِ الــشديدة ، والصبرِ الجميل ، مادّياً ومعنويّاً ، واضطرُّوا مُبَكّرين إلى حملِ المسؤوليات ، وملابَسةِ الحياة ، ومعاملةِ الناس في مختلف الميادين ؛ فلم يتقدّموا بالتالي في الدراسةِ وحدَها ، و لم يظفروا بالدرجات والشهادات وحدها ، و لم يتخرّجــوا مــن

الجامعات وحدها ؛ ولكنّهم تخرّجوا أيضاً من مدارسِ الحياة ومعارِكِ الحياة رجالاً أَعْرَفَ بالناس وبالواقع وبالــدنيا ، وأقدرَ على مواجهتها والتصرُّفِ فيها

وما أحوَجَ المسلمين في هذه المراحل من حياتهم ، وفي مُقْبِلات أيّامهم ، إلى رجالٍ مؤمنين مجاهدين ، تقــدّموا في ميادينِ العلمِ والفكرِ والاختصاص ، وصَلُبَ من خلالِ الكفاحِ والشدائدِ والمصاعبِ عُــودُهم ، ونَمَــتْ خــبرتُهم وقدرتُهم على المبادرةِ والعملِ الفعّالِ .. والاحتمال

* * *

كان فتحي رحمه الله تعالى وغفرَ له كما قدمتُ –نموذَجاً صادقاً لهذا الجيلِ الذي أَكْبَرتُه وأحببتُه وانعقدَ عليــه في نفسي كثيرٌ من الآمال

وكان –رحمه الله– إلى ذلك مضربَ المثلِ في طيبِ القلب ، وكَرَمِ النفس ، وعِفَّةِ اللسان ، وإيجابيّــةِ النــهج ، والنَّأْيِ بنفسه عن القيل والقال ، والصغائرِ والتفاهات ، مما جَمَعَ القلوبَ على محبّته واحترامه بينَ كلّ من عرفــوه – صغاراً كانوا أو كباراً– في المركزِ والمسجدِ والملعبِ ومجالاتِ العملِ والحياةِ الأخرى

ولقد كان مهمّاته التي نهض بها أثناءَ دراسته بضعَ سنوات ، أن ينقل الأطفالَ من بيوتهم إلى المركــز والمــسجد لدروس العربيّة والدين ولغير ذلك من الدروس والنشاطات ، وأن يردّهم بعد ذلك إلى البيوت ..

فلم يبقَ طفلٌ من الذين عرفوه –على اختلافِ أسنانِهم وبلدانِهم ، إلا ويسأل عنه بغاية اللهفة والحــزن ، أيــامَ مرضِه المفاجئ القاتلِ الذي أَعْجَزَ الأطباء :

– كيف عمّو فتحي ؟ إن شاء الله أحسن ؟ ..

ووجَمَ الأطفال تلكَ الأيّام ، ووجمتْ بيوتُهم معهم ، ووجمتِ الحياة

وانسكبتْ من العيونِ الصغيرة ، دموعٌ غزيرة ، لا تعرف المجاملةَ والتكلُّف

و لم يَدفع ذلك القضاءَ عن الحبيب الغالي ، فقبضه الله إليه

وترادفتْ شهاداتُ الأطفالِ الأبرياء وكلماتُهم :

– كان يرعانا كأب ، ويعاملنا ويؤانسنا كأخٍ وصديق

كان يوسعُ صدره لنا ، ويصبر علينا ويسامحنا بمحبّة وعطف ، و لم يُزْعِلْ أحداً منا

كان .. وكان .. وكان رحمه الله !!

ما أعجب الحياة !!

بالأمس كان في مركزنا ومسجدنا ومجتمعنا الصغير مِلءَ العيونِ والنفوسِ شَباباً ونشاطاً ، واليـــومَ نـــتكلّم عنـــه فنقول : كان وكان وكان ؛ بل نحن أنفسُنا الذين نقلناه من المستشفى إلى المسجد للصلاة ، ثم نقلناه إلى المقـــبرة ، ثم حَثَوْنا عليه بأيدينا التراب ، ثم انصرفنا عنه وتركناه

كان إخوانه وأصدقاؤه ينتظرون أن يُتِمّ (الدكتوراه) ليحتفلوا بتخرّجه أبهى احتفال

وكانت أمّه وإخوته ينتظرون

ولّما دُعِيَتْ أمُّه للحضور العاجل إلى ألمانيا أحضرتْ معها ثيابَ الفَرَح ، ولم يخطر ببالها أنّها ستحتاج إلى ثيـــاب الحزن ، وأنَّ ابنها فتحي سيموت

يا لله لِهذه الأمّ! قبلَ ستّةِ شهور فقدتْ بنتَها الشابة ، وتفقد الآن -ولّما يلتئمْ جرحُها بعدُ- ولدَها فتحي ، وهـــو في أسرتها أكثر من ولد!

ويا لله لِهذه الزوجة الصغيرة ، التي انهدمَ بيتُها وغابَ زوجُها ، وحملتْ على كاهِلِها الضعيف مـــسؤوليةَ ثـــلاثِ بناتٍ صغيرات !

وما أعظمَ الإيمان ، وما أجْداه وأحلاه في الشدائد العِظام !

لقد تجلّى هذا الإيمان واضحاً مشرقاً في الأمّ والزوجة ، وتجلّت سكينتُه وطُمَأْنينتُه من وراءِ أمواجِ الحزن ، وبراكينِ الحرقة والأسى ، فكان مع الحزنِ المزلزِل ، والدمعِ المنهمرِ ، التسليمُ لله عزَّ وجلَّ ، والرضا بقضائه وقدرِه

« **إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أَعْطَى ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى** ... » رواه البخاري

« **اللَّهُمَّ اغْفِرْ** -لفتحي- **وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالـــثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِـــنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ** » رواه مسلم

« **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا ، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا ، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا ، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا . اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلامِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ . اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلاَ تُضِلَّنَا بَعْدَهُ** » رواه ابن ماجه

وإنا لله وإنا إليه راجعون

* * *